

مذاهب الحب

خواطر

شيماء حسين



مذاهب الحب

تدقيق لغوي: رضوى عاطف
تصميم الغلاف: عبدالرحمن صابر

إهداء

لكل من آمن بموهبتي فقال كلمة طيبة لي - وإن كانت
عابرة - فغرست فداً من الورود على قلباً مساحته لا
تتعدى قبضة يد.

"١"

عندما سُئلت فتاة عن الحب من جميع النواحي، فكان هذا ردها:

- من الناحية العاطفية:

أحبه في مرحلة الحب من طرف واحد، فأشد حب واصله حتى أنهكني التعب، فياليته يوجد هو بالطرف الآخر حتى يخضع وصل حبنا لقوتين متساويتين في شدتهما متعاكستين في اتجاههم حتى يظل الحب قائمًا.

- من الناحية الطبية:

تم السيطرة على عقلي بمخدر أجهل مصدره فأحيانًا يدي تتجاهل أوامره فتخلق أوامر بسيالات عصبية جديدة لتتمكن من أن تكتب له جوابًا. وأكاد أصدق أن عيناى أصابت بالعمى فلا ترى غيره، فكما يُعدل مؤشر البوصلة من موضعه تجاه الشمال فعيناى تُعدل من موضعها تجاهه. ولقد تم تجديد نشاط أعضاء جسدي بمحفز مكوناته ذرات حب ولكن أظن أن مشاكل عطل قلبي وازياد نبضاته هو أحد أسبابه.

- ومن الناحية العلمية:

- أصدر عقلي أمراً بزيادة هرمون الإدرينالين مع هرمون السعادة خليطاً غير منطقي يزيد أنفاسي لمجرد تذكره بمعدل جري ملف سباق ماراثون عالي الكفاءة.

- من الناحية السياسية والعسكرية:

لقد تم غزو أراضي قلبي برمحه المسموم وتم إعلان حظر التجوال.

- ومن الناحية الثقافية والادبية:

نسجت يدي شعراً بيوته عششتها خيوط عنكبوت من النوع السام.

- ومن الناحية الدينية :

حظك من دعائي أصبح كبيراً، فلم لم تقل لي أنك وريث دعائي الوحيد

بوصية من قلبي المحتضر وعقلي المشتت؟!!

- ومن الناحية القانونية والجنائية:

هل يوجد محكمة لقضايا العشق سيدي؟! فأين العدل في دساتير حُبّه؟!!

- ومن الناحية العملية:

يا ليته الفراغ بعينه فأنساه بدون بناء أي نصب تذكاري يُذكرني به في إحدى
زوايا فصوص عقلي.

- فمن من ناحية المنطق:

لا أجد تفسيراً، فليتنا نمتلك آلة زمن فأختار الزمن اليوناني فأسال أرسطو
عنه.

- في الناحية الجغرافية:

- بيننا مسافة الصحراء الغربية بأكملها، فكلما ألقى بخطوط دفاع حبي
يبتلعها بحر الرمال الأعظم، فلا تصل للبر الآخر.

- والناحية التاريخية:

أجهل تاريخ اليوم ولكن إذا اخترت عصرًا سيكون الجاهلي؛ لأرى مقدار
جمال عبلة لتكون مثلمة من أدلى بأهم دواوين الشعر العربي لعلها تؤثرني
بوصايا سبع.

إذا كنتَ بحرًا؛ لتمنيت كوني سمكة، وصدقني لعادت قواعد الطبيعة وسرت
في اتجاه تيار أمواجك وما عاندتها قط.

وإذا كنتَ صخرًا؛ لتمنيت كوني قِثات معدن ذهب داخل جوف باطن أرضك
أو نبات دوم مُمتد الجذور بداخلها فلا أطلب ثمارها إلا بعد مائتي عام.

وإن كنتَ بلدًا نائية؛ لدعوت ربي كوني نهرًا متعدد الأفرع يشق منتصف
أرضك فأفيضُ لك كل عام بمعدل يُناسب بيوت وطنك.

ولو كنتَ سماءً؛ لتمنيت كوني طيرًا، وأصدقك قولًا لن أهاجرَ مهما ساء
طقسك.

وإذا كنتَ بحر الرمال الأعظم الذي يهابوته هؤلاء؛ لدعوت ربي كونك مُبتلع
جسدي المتهالك هذا.

وإن كنتَ ثغراً لتمنيت كوني بسمّة تزيئته.

وإذا كنتَ أحدَ الميكروبات المسببة للداء؛ لكنت كريات دم بيضاء فلا يبتلعك
غيري.

ولو كنتَ محيطًا؛ لتمنيت كوني أكبر جزيرة بك يتأصل جذورها لقاع أرضك.
وإن كنتَ زلزالًا؛ لدعوت ربي كوني من توابعك فلا أتركك حتى وإن كنت
على باطل.

فلو كنتَ جبلاً وهذا الأقرب لإطباعك القاسية المظهر الخارجي والممتلئة
بالخير لكل من يراه؛ لكنتُ يا نجم سمائي سيلاً يتجمع فوق ثغراتك فأحطم
كل من يصنع منك نقطة ضعف لتهديد كيائك الشامخ.

ولو كنتَ كوكبًا؛ لكنتُ نيزكا يستهدف أرضك لتكن موطني الأصلي وأقسم لن
أؤذيك.

يا نجم سمائي انت كل هؤلاء، في عيني تراك في كل موضع، فأرجوك لا تكن
راحلاً.

"٣"

هناك فرق ليس بالكبير بين الإعجاب والحب، مع أنك تظن أن المسافة بينهما كخليتين بجسد كائن، فتعتقد بالتصاقهما وتشابههما ولكن هيهات الفرق؛ فالإعجاب يكمن بجزء بشخصه كالجمال، التدين، الأسلوب، فإن ذهبت هذه الصفة ذهب شعورك تجاه هذا الشخص.

أما الحب فيكون لكل الصفات حتى السيئة منها تعتاد عليها، فتراه كصفحة بيضاء لم تلوث بحبر حتى لو كان الماضي قد مّحي برصاص.

"ع"

نتائج نظريتي الوهمية " الحب إدمان " تقول:

الحب شعور يزيد من هرمون السعادة بشكل وهمي حتى يتناقص معدله في
الجسد، ولا يتبقى لك أي مخزون لتقاوم هجر الفراق، فتصبح مدمناً للكلمة
الطيبة بصوته، وسماع اسمك منه، حتى عيونك تدمن صورته، فتصبح
أعضاؤك مدمنة.

"٥"

لا يغرك هذا الهدوء الظاهر على ملامحها؛ فهي مجرد جسد ساكن به روح
ثائرة؛ فإن فتحت آفاق عقلها ستجد أن كل خلية تتشاجر مع نظيرتها. تمتلك
فصين بعقلها، أحدهما يمتلك من الحكمة مقدارًا ليس ببسيط ولكنه غير
كاف، والآخر عنيد بمعنى الكلمة، يتخذ أوامره بسيالات عصبية عنيفة دون
أي فهم.

كذلك قلبها بحجراته الأربع آراءهم مختلفة مع مشاعر مشاكسة؛ فالحجرة
الأولى تحب زوجها بمقدار الابتسامة البلهاء التي تظهر على وجهها عند
رؤيته، والحجرة الأخرى تنبها أن تفتح قلبه، فهي تعلم أنها تتربع به.. ولكنها
لا تعلم بأي حجرة من حجرات قلبه... فتري من يسكن بالثلاث حجرات
الأخرى؟! فالرجل يمتلك قلبًا بأربع حجرات لكل حجرة امرأة أو أكثر لا تعلم،
فليته لم ينتشل العضو المتمرد (قلبها) التي طالما تريد انتزاعه من موضعه.

"٦"

لم تكن عيناكي زرقاوتان رغم أنني لا أفضل غيرهما، لم تكوني بنفس درجة
البشرة التي أحبها، لم تكوني بنفس طول البنت التي لفتت انتباهي لأول
مرة. هناك مئات أجمل منك، وآلاف يمتلكون علامة الحسن التي تأسر
العيون، لم أحب طريقة لف حجابك ليحجب شعرك الذي ياوول للون البني
نيابة عن لون حاجبيك رغم أنني أحب الأسود صديقا، ولكنك تمتلكين
طريقة لسرد أسرارك بالشكل الذي يجعل فصّي عقلي يضطربان، وقلبي
تتخبط حجراته، ولكن هنيئا لك فقد غارت منك أعضائي؛ لعلمها أنني قد
أقتلع أيّا منها لإعطائك إياها.

هو: أريد الزواج منك؟!

هي: إذا ستشقى 'معي' في إكرامي؛ فأنا تربيتُ مع أب لم يهينني يوماً أمام أحد، وكتب عليّ أن أتمرد على أي شيء ليأخذ طريق الاعوجاج، ولم تمتليء عينيّ إلا بحُب عليّ من السيدة فاطمة-رضي الله عنهما- لن تقوى على مجارة مشاعري، لن تعرف مواسم خريفي في أي أشهر من السنة، ستجدني لا أجيد التعبير مع مشاعر لن تقدر على فك أيّ من رموزها وشفراتها مهما أجدتَ حفظها.

"٨"

أظن من بعد الدعوة الخمسمائة اثنين وعشرين لَتكوني لي لم أُعذ. لا أعلم متى تخلصت من عادة قطف أوراق الورود لأعلم أتحبيني أم لا؟ راقبت النجومَ لأجلك، كأنما إن تركتها ستتخبط وتتصادم لتقع علي رأسك. واليوم أنظر إليك من برج في الدور الثلاثين وأكاد لا أراك؛ فحُبك لي لم يكن سوى شمعة مع أول نسمة- لا تحرك حبة رمل- اطفأتها بأفعالك. الأمر شبيه برجل قرر أن ينتحر، وكتب الله له أن يكمل حياته، فسيعيش بوصمة طوال حياته...

والآن أنا أمثل الشجرة التي فقدت جميع أوراقها في الخريف فرزقها الله بغيرها وأبدلها خيراً منها ثماراً لصبرها.

"٩"

إن تحدّثنا عن ترميم القلب: فكلما حاولت ترميم جدران قلبي تنتكس عرقاته
عند رؤيتك، وإنني لفي ميادين حُبك لمهزوم.

تنعني أيًا من مذاهب الحب أنت؟ أنتي ممن يُحبون فيتجاهلون؟ أم أنتي ممن لا ينجلون فيتأهبون؟ ولكنك تستحقي وصف الأولى عن جدارة؛ فأتذكر حينما طلبت مقابلي يومًا، وكنت معك ولم تكوني معي؛ فلم تلتقي العيون خلصة، وأنا من عدت عدد شعيرات رموشك من فرط الصمت الذي يزيد لوقتنا بهجة وليس وخشة كما يقولون، فلتعلم أنها إذا أحببت تجاهلت، ليست كأي فتاة فلن ينطق لسانها ولا عينيها بصراع أعضاء جعلت للتشتت طريقًا مُمهّدًا، أتشعر ببركان جعل الخمول مظهره مع ثوران باطنه؟! بالطبع لا؛ إذا فلن تشعر بها. أعلم أنها ستتجاهلني مع شعور الرضا التام بأن ما قسّم لها لن يُخطئها ويصبح كسهم يعلم وجهته.

"لقد فعلت كل ما بوسعي لك."

جملة قلتها لي كثيراً، واليوم سأرُد عليك، فهيئات أصعدت قمة جبل ونسبت
 نجاحها لي؟ أم صعدت إلي القمر وجلبت حجراً نقش عليه اسمي؟ أم أفرغت
 جعبة كلماتك اللانهائية في احتواء حزني؟ لقد كنتُ حزينة من يومين
 وتركتُ القدر يشفيني. وفي حقيقة الأمر، جميع خلاياي تتأمر علي عدم
 نسيانك؛ أظنني سمعت أحداً ينادي باسمك علي أحد الجيران، رأيت رجلين
 بنفس طولك البارحة، وقد أصبح أبي يجلب لنا ثمار الموز يومياً منذ فراقنا،
 أظنها فاكهتك المفضلة، وأعلم نسيت ربط حذائي كعادتي، ولكني لم أنسي
 ابتسامتك لي كل صباح عن منظري كطفلة مدللة. وعاندت الطبيعة فصرت
 أضع ملعقة سكر واحدة علي قهوتي كعادتك رُغم مرارتها التي لا أطيقها،
 وأصبحت أحب الأماكن المزدهمة كما قلت لي مرة أنك فيها تنسي نفسك
 وأنها تمثلي فعيناي مليئة بالكلمات مثلها وتنتظر أن يعبر عنها لساني؛ أراك
 في كل التفاصيل ولم تسمعني حتى بعض كلمات المواساة، ولكن من فرائض
 الحب الاهتمام، فأظنك مقصراً.

صار يُغازلني بين الحين والآخر حتى تعلقت به، ذكرني أن النجوم خلقت لي،
 وأن المعازف تمثلي، وأن الورود تشبهني، وأن الحروب قد تقوم لأجلي، وأن
 كل القصائد جميلة إن صارت في حضرتي، وأن المهالك تصبح أهون
 بوجودي.

واليوم أصبحت المهالك تتمثل في حضرتي، وأننى أسوء الأقدار لديه، وأنني
 قد أشعل حربًا بكلمةٍ مني، وأن كوكب المريخ أهون من وجوده بكوكبٍ
 أسكته. فصرت أنا من أتودد، من أطرق الأبواب، من أسامح، من ألعب
 بالمعازف، من ألقى القصائد، من تصنع حروبًا لنيل قطعةٍ من أراضٍ قلبه،
 حتى نفذت ذخيرتي، وتتربت مدافعي، وقتل جنودي بالمعركة. المسافة بيننا
 لا تتعدى متراً ولكن تم بناء شقٍ غائرٍ بيننا يصل لباطن الأرض.

"١٣"

سأصف لكم الحب من طرف واحد: هو كالحبل المشدود من إحدى الطرفين،
تشد فيه فلا تجد قوة مساوية لك في المقدار ف الناحية الأخرى حتى يظل
الحبل قائمًا، فأنهكها شد حبلها حتى داب وتقطع بسبب عوامل جوية قاسية؛
فكل كلمة كانت تنتظرها ولم تقال تكون سكاكين تقطع حبلها وتمزقه.

"١٤"

أتعلم ما المعاناة؟!!

هي أن تدمن سماع اسمك من أحدهم، حتى عيونك تدمن صورته، فتصبح
أعضاؤك مدمنة، فيقلل جرعاته فجأة ويبدأ انهيارك.....

"غازلت القمر لأجلك، حاربت جزءاً من عقلي وجعلت الكلمة لآخر يتحكم في
ضخ دمي لأعضائي. استبحت لعيناي رؤية غمازاتك مع بعض التلذذ العفيف
عند النظر لعدسة عينيك وأنا بداخلهما. أرى الخراب حولنا والعمار داخل
قلوبنا سيدتي. حملت درعي علي كتفي ولو أقدر سأحملك علي الكتف الآخر
لأحميك، أنتي قبلي لكل فريضة حب بيننا. أغضب على وريد يندس داخل
عضلات وجهك ليغذيها.

لقد أشهدت العالم علي حبا، وصليت صلاة الحب بيننا، وصومت عن غيرك،
وزكيت عن خطأ إعجابي بأخرى قبل رؤيتك، لقد اصطفت كلامتي لتؤدي
فريضة الحب حول اسمك؛ ولكن أركان قلبي انهارت عند رؤيتك لأول مرة،
فمن يعيدها سيرتها الأولى؟!"

"١٦"

اختلستُ النظر لأعد كم مرة أغمضتُ عينيكِ فيهما في الخمسة دقائق التي احتظيت بهم معك، أظني رأيت اتساع حدقة عينيكِ عند النظر إليّ، لاحظت عدد الخصلات البيضاء في مقدمة رأسكِ ثنباً بخطر، أظن أن عليكِ صبغهما؛ فيشتعل السواد فيهم مرة أخرى كحقل أرز تم حرقه، لاحظت بعوضة تقترب منك فمن غيرتي كدتُ أن أقتلها قبلما تتخذي ردة فعلكِ السابقة لما أفكر فيه، لا تسأليني كيف وُقِّعتُ بين الإشارة إليكِ بالسبابة ومتلازمة عد مرات إغلاق جفونكِ. ليتني أتعلم فن الفراسة، فأحلل كلامكِ، أتعلمي لاحظت طول أظافركِ؟ لِمَ الإبهام أطول من البقية؟ أعرفتِ كم عدد الأوردة البارزة التي تُغني عينيكِ كما أفعل أنا بكل براعة مني، واليوم أتهمكِ باتهامي في محكمة قضايا العاشقين أنني لا أهتمُ لأمركِ...

"١٧"

لطالما تمنيت أن أتزوج من مطرب غير مشهور لم تصفق له امرأة؛ فأكن له
كل الناس، أو أن أتزوج من شاعر لم يلق قصيدة واحدة على مسامح فتاة؛
فأكن له جمهوره المتلهف، فإذا كتب لي قصيدة تعمد وضع شدة على أحد
أسمائي التي تكون سرًا بيننا؛ ليثبت لي أن حبل وصلنا مازال مشدودًا
بإتقان، ولا ينطق غير الكلمات التي تحوي حروف اسمي؛ كأن الكلمات التي لا
تحوي حروف محرمة، ويُجيد الغزل العفيف بصورة بإتقان.
فأكاد أجزم أن أذناي أحدهما تسمع نداء صوتك والأخرى تكذبها جهراً،
قدماي أحدهما تسبق لمكان وجودك والأخرى تعرقلها، ويدي اليمنى تمسك
قلمًا واليسرى ممحاة تمحو ما كتبتك لك.